وقفات مع ذكرى الإسراء والمعراج

احتفلت بلادنا اليمن الأربعاء المنصرم ومعها الأمتان العربية والإسلامية بذكرى الإسراء والمعراج الشريفين التي تعد حدثا عظيما في تاريخ الإسلام ومحطة بارزة تجاوزت حدود الزمان والمكان .تلك الحادثة التي تربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى الذي بارك الله تعالى حوله وتؤكد مكانتهما في نفوس المسلمين وضرورة المحافظة على المقدسات الإسلامية التي تعد جزءا من العقيدة السمحة. فهذه الذكرى ستظل المصدر الذي يتشرب منها المسلمون الدروس والعبر، وستظل الجرس الذي يذكرهم دائماً بدورهم تجاه أنفسهم وتجاه دينهم وتجاه الناس جميعاً، هذه الذكرى التي وقفت أمامها العقول حائرة ،معجزة جعلت أعداء الإسلام واقفين أمامها بين مشكك ومصدق ليأتي قول الله ويحسم هذه القضية فيقول سبحانه وتعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله» وقوله تعالي «ما زاغ البصر وما طغي».فهذه المعجزة إن دلّت على شيء فإنها تدل على تكريم الله تبارك وتعالى لهذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومنزلته عند الله جلت قدرته وعزت عظمته، وعناية الله به ورعايته له وهي الحفاوة وأيّة حفاوة.

رحلة أرضية ليلية، والمعراج رحلة من الأرض إلى السماء، من القدس إلى السموات العلا، إلى مستوى لم يصل إليه بشر من قبل، إلى سدرة المنتهى، إلى حيث يعلم الله عز وجل، هاتان الرحلتان كانتا محطة مهمة في حياته صلى الله عليه وسلم وفي مسيرة دعوته في مكة، بعد أن قاسى ما قاسى وعانى ما عانى، من قريش ثم قال علي أن أجد أرضاً أخصب من هذه الأرض عند ثقيف، عند أهل الطائف، فوجد منهم ما لا تحمد عقباه، ردوه أسوأ رد، سلطوا عليه عبيدهم وسفهاءهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة حتى أدموا قدميه صلى الله عليه وسلم، ومولاه زيد بن حارثة يدافع عنه ويحاول أن يتلقى عنه هذه الحجارة حتى شج عدة شجاج في رأسه، خرج عليه الصلاة والسلام دامي القدمين من الطائف ولكن الذي آلمه ليس الحجارة التي جرحت رجليه ولكن الكلام الذي جرح قلبه، ولهذا ناجى ربه قائلا : (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ، أنت رب المستضعفين ،إلى من تكلني ، أم إلى عدو يتجهمني، أم إلى قريب ملكته أمري ، ألا ما يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ،من أن يحل بي سخطك ،أو تحل بي عقوبتك ، لك العُتباء حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك) فبعث الله عز وجل إليه ملك الجبال يقول إن شئت أن أطبق عليهم الجبلين، ولكنه صلى الله عليه وسلم أبى ذلك، وقال إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً، اللهم أهد قومي فإنهم لا يعلمون، ثم هيأ الله تعالى لرسوله هذه الرحلة، الإسراء والمعراج، ليكون ذلك تسرية وتسلية له عما قاسى، تعويضاً عما أصابه ليعلمه الله عز وجل أنه إذا كان قد أعرض عنك أهل الأرض فقد أقبل عليك أهل السماء.

ونعرف جميعا بقية تلك الحادثة المعجزة وتفاصيلها ولكنني أحببت أن أشير هنا إلى أن من أعظم الدلالات التي يجب على كل مسلم استشعارها في هذه المناسبة هي مكانة بيت المقدس وعظمته عبر التاريخ الإنساني والديانات السماوية المختلفة فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين ومهبط الرسالات وما يحز في النفس ويكدر صفوها هو ما يعيشه بيت المقدس اليوم وأهله فهو يدنس على يد أبناء القردة والخنازير وقتلة الأنبياء وعلى مرأى ومسمع من العالم أجمع، حيث وأن العرب اليوم أصبحوا بسبب المظاهرات والاعتصامات التي تطالب بإسقاط الأنظمة غائبين تماما عن هذه القضية وما يحدث بها وما يرتكب من أبشع الجرائم بحق شعبنا الفلسطيني الأعزل من قتل وتنكيل وتعذيب من قبل الصلف الصهيوني يعبر عما وصلت إليه الأمة الإسلامية من ضعف وهوان وشتات فكيف نحتفل بهذه المناسبة وحال الشعب الفلسطيني وبيت المقدس خاصة لا يسر عدواً ناهيك عن الصديق؟!

فاهم الفضلي

فيجب على الأمة العربية والإسلامية وهي تحتفل بهذه الذكرى الغالية على قلوبنا أن تقف عليها وتستلهم منها أهم ما خرجت به هذه الرحلة الربانية من دروس وعبر لتكون لنا خير عون على استعادة مجدنا وإعادة بناء لأمتنا، وأهمها أن هذه المناسبة يجب أن تكون جرساً لإيقاظ جميع العرب والمسلمين من غفلتهم بأن يفهموا ويعوا ما يحاك ضد الشعوب العربية من زعزعة لأمنها واستقرارها بهدف ما يسمى تغيير الأنظمة «الفوضى الخلاقة « حتى يتمكن العدو وعبر الشباب من تنفيذ مخططاته الصهيونية.

فلنستغل جميعا أحزابا ومنظمات وشباباً وعلماء وشخصيات اجتماعية هذه الذكرى الربانية العظيمة بأن نتصالح ونتسامح ونتحاور ونضع جانباً خلافاتنا واختلافاتنا الفكرية والإيديولوجيّة والسياسية لنجمع على موقف إنساني ووطني ،نرى فيه واجبنا تجاه هذا الوطن الذّي يحبنا ونحبه ،يجتمع حوله الأخوة في الوطن والوطنية دون استثناء أو تمييز من أي نوع، ندعو في هذه الذكرى المباركة لنبذ لغة التشكيك بالآخر ووطنيته ونرفض لهجات التخوين واتهامات العمالة وكل أشكال التحقير والازدراء والألفاظ غير الأخلاقية والاستهزاء برمز البلد فخامة الرئيس شفاه الله وعافاه وأعاده إلى أرض الوطن سالما ،نعم ندعو القوى الوطنية والفعاليات الاجتماعية ومختلف فئات الشعب اليمني العظيم إلى اتخاذ موقف تاريخي من أجل تحصين الوطن وتقوية كيانه ووحدته وترسيخ أسسه وبناء منصة الانطلاق نحو المستقبل المشرق والعادل والخيّر لبلادنا وأهلها. وكي نتجنّب المزيد من الدماء والضحايا والدموع والوقوف جميعاً تحت سقف الوطن والوطنية والشرعية الدستورية الجامعة بلا استثناء أو تمييز.

كما يجب علينا عدم نسيان قضيتنا الأساسية وهي قضية المسلمين اجمع المسجد الأقصى فهو ليس ملكا للفلسطينيين، هذا مسجدنا، هذه حرماتنا، هذه كرامة أمتنا، هذه عقيدتنا لا يمكن أيها الأخوة أن نفرط فيها، إذا كان اليهود قد حلموا بإقامة دولة واستطاعوا أن يحققوا حلمهم، فعلينا أن نحلم نحن بأننا لا يمكن أن نفرط في مسجدنا حتى وإن رأينا الواقع المر يستسلم هذا الاستسلام، وينهزم هذا الانهزام، لا يجوز لنا أن نسير في ركابه منهزمين، يجب أن نعتقد أن الله تبارك وتعالى معنا وأن الله ناصرنا وأنه مظهر دينه على الدين كله وأنه ناصر الفئة المؤمنة، وكما روى الإمام أحمد والطبراني، عن أبي إمامه الباهلي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قالوا يا رسول الله وأين هم؟ قال ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس). فليجعل المسلمون قضية استرداد «المسجد الأقصى» قضيتهم الدائمة التي يجب أن يعملوا دائما على استردادها، ألم تكن هذه البقعة المباركة مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم، ونهاية رحلة الإسراء وبداية المعراج؟ ،أليست هذه ارض الإسراء التي تتعرض للظلم والانتهاكات؟.

.وكل عام والأمة الإسلامية بخير

والله الموفق،،

عيد السماء

قمر تألق في الظلام الداجي
لأعز من رؤياه لن تحتاجي
بدأ البراق ولاح في إسرائه
قمراً يشق غياهب الإدلاجِ
يكسو سكون الليل روحانية
حركية . . والليل غافٍ ساجِ
أسرى بأحمد في عظيم سمائه
باري الورى من نطفة أمشاجِ
والمسجد الأقصى هناك كأنه
ملك تنصب في انتظار التاجِ
قرب البراق فحط . . هذا أحمد
يخطو . . وهذا الباب دون رتاجِ
قد أعجز البطريق ليلة أمس إذ
لم ينغلق وأبى على المزلاجِ
وإذ استعان بكل نجار فلم
يُفلح . . وعالجه أشد علاج
لم يعلم الحبر المبجل أنها
هي ليلة الإسراء والمعراجِ
عيد السماء ومهرجان المصطفى
مع أنبياء أتوا على أفواجِ
صعد النبي إلى السماء وكله
شوق إلى شرف السنا الوهاجِ
يجتاب أغلفة السموات العلا
ويطير من خز إلى ديباجِ
ولج الحبيب وقام عند المنتهى
في الحفظ يسأل ربه ويناجي
يا مسجدي الأقصى . . أنا متفائل
أنا للصلاة غداً بصحنك راجِ

من فوائد الإسراء والمعراج

يأتي الفرج بعد الشدة

■ إن ضوء الفجر الصادق يأتي بعد ظلام الليل الشديد الدامس ،ويأتي المولود السعيد بعد آلام المخاض الشديدة ،ويأتي النجاح والتفوق والسرور بعد الجد والاجتهاد في التحصيل.

الجد بالجد والحرمان بالكسل
فانصب تصب عن قريب غالية الأمل

وقال آخر:

خلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته
ومدمن القرع للأبواب أن يلج

من كل هذه المعاني نفهم ونستنتج أن الأمل يأتي بعد الألم وأن المحن تسبق المنح ،وأن الضيق يأتي بعد الفرج وأن مع العسر يسرا.

إذا ضاقت بك الأحوال
ففكر في ألم نشرح
فعسر بين يسرين
إذا فكرت فيه تمرح

علمنا القرآن الكريم هذه المفاهيم ليؤصل فينا عدم اليأس والقنوط والاستياء دائماً والثقة في نصر الله لعباده المؤمنين ،مهما ضاقت بهم السبل وتقطعت بهم الأسباب ،ومهما علا الباطل وطغى المجرمون، وكانت الكلمة لأحط خلق الله وسادة سفكة الدماء وقتلة الأبرياء، فهذه سنة الله في خلقه ليمحص المؤمنين، ويمحق الكافرين، قال تعالى:»أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين من خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب».

وأخبرنا الله أن الفرج يأتي بعد البلاء والشدة قال تعالى: «لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور» وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفضل العيش في أيام الشدة منتظراً الفرج أفضل من العيش في أيام الرخاء التي تأتي بعد الشدة.

لاشك أنكم أيها القراء الأكارم تتابعون سير الحياة وتشاهدون أحداث العالم ومقاومة الحق للباطل، وصمود المستضعفين أمام الظالمين، وإن النصر يأتيهم بعد الشدة والابتلاء، وبعد أن بلغت القلوب الحناجر، يجيء النصر بعد التضحيات الجسيمة والمعارك الشرسة، بعد التضحيات بالأموال والأرواح يجيء النصر بعد الثبات أمام العدو والصبر على الضر والبلوى، يجيء النصر بعد طاعة الله ورسوله ورص الصفوف ووحدة الكلمة قال تعالى: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص»، ولم يتنازعوا فيفشلوا وتذهب قوتهم، فبوحدة الأمة وصمودها وصبرها على اللقاء للعدو يمنحها الله نصره الذي وعد عباده المؤمنين، ألا إن نصر الله قريب».

محمد محمد المعافا

والمتتبع للسيرة النبوية سيرة الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم تتأكد لديه هذه المعاني وتلك المفاهيم فقد حوصر الإسلام في مهده من قبل المشركين وذاق المسلمون من العذاب ألواناً ،وحبسوا في شعب أبي طالب حتى أكلوا الجلود وأوراق الشجر وامتدت الإساءة إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حين سبه المشركون ورموه بالسحر والجنون ،ورجموه بالحجارة حتى آذوا قدميه الشريفتين ،كل ذلك كان قبل أن يمن الله عليه برحلة الإسراء والمعراج ،وصبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفض الدعاء على قومه بالهلاك.

بعد ذلك فتحت مكة المكرمة وطهر البيت الحرام من الأوثان ودخل الناس في دين الله أفواجا، وفتحت بلاد فارس والروم وعم الإسلام الأرض من أدناها إلى أقصاها ،ألا يدل كل هذا على أن الآمال تلي الآلام ،والمحن تسبق المنح ،والفرج يأتي بعد الشدة؟

أراد الله تبارك وتعالى في معجزة الإسراء والمعراج أن يربط بين المسجدين المسجد الذي ابتدأ منه الإسراء ،والمسجد الذي انتهى إليه الإسراء » ،من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى» وأن يربط قضية المسجد الأقصى وما حوله من أرض فلسطين بقضية العالم الإسلامي لأن القضية برمتها قضية دين وأمه لا قضية أرض وجماعة.

وأن المراد بالمسجد هو مكان السجود لا الحجارة و البناء قال تعالى: «وإذا بوأنا لإبراهيم مكان البيت» والمسجد ليس من مقدسات اليهود فمقدساتهم الكنائس والبيع، وإنما المسجد للمسلمين وما حوله وهو قبلتنا الأولى وثالث المسجدين المعظمين فإن فرطنا فيه فرطنا في ديننا ودنيانا وكرامتنا وحقوقنا، ولعل هذا ما جعل صلاح الدين يقاتل من أجله ببسالة فائقة ونحن لن نفرط في ذلك أبداً سنظل نقاوم ونجاهد وندعم المقاومة ما حيينا.

علمنا القرآن أن لا نيأس من رحمة الله أبداً مهما طال الوقت ،ومهما زادت الجراح واشتدت الآلام ،فلا بد للحق أن يعود لصاحبه وأن يزول الباطل ومن يعاونه ،ولنا في يوسف الصديق عليه السلام عبرة وعظة حيث عاد يوسف وأخوه بعد غياب طويل وبعد أن انتحب الأب حتى فاضت عيناه وابيضت من الحزن وهو كظيم ،وحين علم يعقوب عليه السلام بتسرب اليأس إلى نفوس أبنائه نبههم قائلاً» يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»

وهنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تموت زوجته الوفية خديجة رضي الله عنها ويموت عمه أبو طالب الذي كان يحميه من بطش قومه ،ويتعرض للإهانة من المشركين في رحلته الدعوية إلى الطائف وتضيق الأرض عليه بما رحبت ،ولكن يأتي الفرج بترحيب أهل السماء به ،وإمامته بالأنبياء ومرافقته لجبريل عليه السلام ،ولقائه رب العزة سبحانه ،وتلقي الأوامر منه مباشرة ،كل ذلك في رحلة الأمل، وتفريج الكرب ،وزوال الهموم ،رحلة الإسراء والمعراج ،وبعد ذلك خروج من مكة وهو كاره لذلك ،لأنها أول مكان تلقى فيه وحي ربه وهي موطنه ومولده فيها قال عنها: «ما أطيبك من بلد وأحبك إلي ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك» ولكنه صبر وصابر ليعود إليها فاتحا منتصراً.

إن معجزة الإسراء والمعراج معجزة خارقة للعادة وأن الإنسان مهما ارتقى في علمه وسلاحه لن يستطيع أن يصل إلى ما وصل إليه سيد البشر محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو يقترب من سماوات الله ،وأن الله تعالى لن يتخلى عن عباده المخلصين ،فلا يأس ولا قنوط وأن النصر سيأتي بعد حين ،وأن حادثة الإسراء تذكرنا بقضية المسجد الأقصى كل عام ،وترغبنا في الجهاد في سبيل الله لما شاهد رسول الله من فضل المجاهدين في الجنة.